شرح كتاب التوحيد

للشيخ: محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-

شرح فضيلة الشيخ:

الشريط الثالث

فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

الشيخ:

وَهَذا هُـوَ شِـرْكُ المنـافقين وإنْ تَسَـمَوْا بالمسـلمين؛ وأمـا الرياء الأصغر كما أَسْلَفْتُ؛ فالباعث فَهْوَ طَـارِئ والبـاعِثُ علـى العمل؛ إذا كان من الواجبات هِيَ القيام بالواجب؛ كالصـلاة مثلا في المساجد، يخرج يريد أن يصلِيَ لله فـي المسـجد، فَيَعْـرِضُ لَهُ ويقرأُ أنْ رأى جماعة يُحب مدحهم وثنائهم فـزاد فـي صـلاته حُسْنًا، فَكَلَّفَهُ هذا الذي زادهُ في صلاتهِ باطل لا ثـوَابَ لَـهُ فيـه، لكِّنه لا يُخْرِجُهُ مِنَ الإسلام، ولا يُكلَّف بإعادة الصلاة وهكذا بقيـة الأعمال، إذا طَرَأَ على الإنسان شيء إنْحَـرَفَ بِهَـا عـن الإخلاص فيها وقع في الشرك الأصغر؛ لذا لكثرة وقوعه في الأمـة قـال

النبي صلى الله عليه وسلم: ((أخوف ما أخاف عليكــم الشــرك الأصغر)). ثم فسره بالرياء، فلابد من التفصيل بين النوعين.

المتن:

وعن ابن مسعود رضي الله أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من مات وَهْوَ يـدعو للـه نِـدّاً دخـل النـار)). رواه البخاري.

الشرح:

نعم.

من مات وهـو يـدعو يُفْهَـم منـه أنَّ الـدعاء عِبـادة، الـدعاء عِبادة صَرْفُهَا لله توحيـد، وصَـرْفُهَا لغيـر اللـه شـرك؛ قـال اللـه تعالى: {وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَــابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}. [المؤمنون:117].

فاعتبر الله -تبارك وتعالى- من مات علـى دعـاء غيـر اللـه فهو كافر، يدعوه ويرجوا منه جلب المصلحة ودفـع الضُّــرْ؛ كفـر بذلك ونهى الله عن ذلك نَهْيًا صريحًا {فلَا تَدْعُواْ مَعَ اللَّهِ أَحَداً }. [الجن: 18]

{وقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}. [غافر:60]

فلم يأذَن سبحانه في دعاء غيره دعاء العبادة؛ إذا من مات على هذا العمل؛ مـات علـى الشـرك الأكـبر، ومـن مـات علـى الشرك الأكبر؛ فإنه مـن أهـل الخلـود فـي النـار {فَمَـا تَنفَعُهُـمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}. [المدّثر:48] نعم.

المتن:

ولمسلم عن جابر -رضي الله عنه- أن رسول اللـه صـلى الله عليه وسلم قال: ((من لقـي اللـه وهـو لا يُشـرِك بـه شـيئا دخل الْجَنة، ومن لَقِيَهُ يُشْرِك به شيئا دخل النار))

الشرح:

نعم من مات على التوحيد لا يشرك بـالله شـيئًا لا الشـرك الأكبر ولا الشرك الأصغر دخل الجَنة؛ لأنه من أهل التوحيد ومن

أهل العمل الصالح وجَزَآئُهُم عند الله الجَنـة {إِنَّ الَّـذِينَ ءَامَنُـواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُـزُلاً }. [الكهـف : 107]

{وَبَشِّـرِ الَّـذِينَ ءَامَنُـواْ وَعَمِلُـواْ الصَّـالِحَاتِ أَنَّ لَهُـمْ جَنَّـاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} [البقرة: 25]

إلى غير ذلك مِنْ وَعْدِ الله الكريم الذي لا يتخلَّـفْ؛ أنَّ مَـنْ مات على التوحيد على العمل الصالح والإيمـان الحـق أنَّـه مـن أهل الجَنة؛ استمر على ذلك في حياة العمل حتى لقِيَ الله عـز وجل، حتَّى أتاه من ربه اليقيـن وهـو لا يشـرك بـه شـيئًا مُقِيمًـا لفرائضه وواجباته مبتعدًا عَنِ الْمُحَرَّمَات من الشِّـرْكِيَات والبِـدَع والضَّلاَلاَت؛ دخل الْجَنة عدا تفصيل في ذلـك، وهـو أنَّـه قـد يقـع في الكبائر والكبائر أهلهـا تحـت المشـيئة، إنْ شـاء اللـه عـذَّب صاحب الكبيرة الذي مات مُصِّرًا عليها بـدون توبـة، عَـذَّبَهُ بِبِـدْءِ جِنَايَتِهِ؛ وإنْ شاء الله أنْ يَغْفِرَ لَهُ وقد أتى بأسباب المغفرة غَفَر الله له؛ بخلاف الشرك الأكبر والنِّفَاق الإعْتِقَادِي والكفر الأكـبر والإلْحَـاد الْمُخْـرِج مـن الْمِلَّـة هـذه ذُنُـوب لا تُغْفَـر لا يَغْفِـرُ اللـه لِأَهْلها؛ وفي هذا الحديث من العموم مثـل مـا فـي قـوله تعـالى {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ} [النساء :48]

والكلام (...) في الآية التي سبق ذكرها.

كلام بين الطالب والشيخ:

(.......) لأن الشرك الأكبر مخـرج مـن الملـة وان الريـاء الأصغر طارئ لا يخرج صاحبه من ملة الإسلام؛ أمـا الأكـبر فهـو شرك المنافقين، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار أشـد عذابًا من الكفرة (...)

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

وقول الله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف:108]

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لَمَّا بَعث مُعَاذًا إلى اليمن قال له: ((إنَّك تأتي قوماً من أهل الكتاب فلْيَكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وفي رواية: إلى أنْ يوحدوا الله، فإنْ هُم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإنْ هُم أطاعوك لذلك؛ فأعْلِمْهُم أنَّ اللهَ افْتَرض عليْهِم صدقة تُؤْخَذ مِنْ أغنيائهم فَتُرَد على فُقَرائهم، فإنْ هُم أطاعوك لذلك؛ فإيَّاك وكَرَائِمَ أموالهم، واتَّقِ دَعْوَة المظلوم، فإنَّهُ ليس بَيْنها وبين الله حِجاب)). أخرجاه.

ولهما عنْ سَهْل بن سعد -رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خَيْبَر: ((لأُعْطِيَنَّ الرايةَ غداً رجلاً يُحب اللهَ ورسولَه، ويُحبُه اللهُ ورسولُه، يَفْتَحُ اللهُ على يَدَيْه،

فبات الناس يَدُوكُون لَيْلَتهُم أيُّهـم يُعْطَاهـا، فلمـا أصـبحوا غـدوا علـى رسـول اللـه _صـلى اللـه عليـه وسـلم_ كلهـم يَرْجُـوا أنْ يُعْطَاها، فقال : (أين علي بن أبي طالب؟) فقيل: هـو يَشْـتَكِي عَيْنَيْه، فأرْسَلُوا إليه، فأُتِيَ بِه فبَصق في عينيه، ودعـا لـه، فَبَـرأَ كأنْ لم يَكن به وجَع، فأَعْطَاه الراية وقال: ((أنْفُـذ علـى رِسْـلِكَ حَتَّى تَنْزِل بِسَاحَتِهم، ثم ادْعُهُم إلى الإسلام وأخْبِرْهُم بمـا يجـب عليهم مِنْ حق الله تعالى فيه، فو الله لأَنْ يَّهدي اللـه بـك رجلاً واحدًا، خير لك مِنْ حُمْرِ النَّعَم)). يَدُوكُون: يخوضون.

الشرح:

الحمد للـه رب العـالمين، اللهـم صـلِّ وسـلم علـى عبـدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المناسبة بين هذا الباب وبين الباب الَّذِي قبله وهو الخـوف مـن الشـرك؛ أن لا الـه إلا اللـه توحيـد مـن قالهـا مُسْـتَوفيًا لشروطها وحقوقها فهـو الْمُوَّحِـد؛ والتوحيـد ضِـدُه الشـرك؛ ثـم أورد المؤلف -رحمه الله- الآية الكريمة {قُلْ هَذِهِ سَـبِيلِي أَدْعُـو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَـاْ وَمَـنِ اتَّبَعَنِـي..} والآيـة الكريمـة فيهـا دليل على أهمية شأن الدعوة إلى الله تبارك وتعالى؛ ومـا ذلـك إلا أنَّ الرسـل الكِـرام والأنبيـاء العِظـام والصـالحين مِـنَ الأنـام كلهم دُعَاة إلـى اللـه -تبـارك وتعـالى-؛ أي: إلـى تَوْحِيـدِهِ وإلـى إقامة فرائضه وواجباته ومتابعة رسله ولَمَّـا كـانت الـدعوة إلـى الله عز وجل لا تقوم إلا على ركـائز، ومـن أول الركـائز العلـم؛ قال على بصيرة أدعوا إلى الله؛ أي: دعوة إلى اللـه عـز وجـل؛ دعوة يُرَاد بها وجه الله والدار الآخرة؛ فليس داعيًا إلى شَخْصِـه ولا إلى غير الله تبارك وتعـالى؛ كمـا يفعـل مـن يقـع فـي حُـب الْمَحْمَدة والثناء والمدح مـن النـاس لا يريـد ثـواب اللـه والـدار الآخرة؛ فكُل عِبادة يجب أن تكون خالصة لله؛ يبتغي بهـا العابـد وجه الله والدار الآخرة؛ ومن ذلك وفي مقدمة ذلك الدعوة إلى الله تبارك وتعالى؛ التي هي وظيفة كل رسول وكـل نـبي وكـل

عبد صالح من بنـي آدم، ولا يكـون عبـد صـالح إلا إذا كـان مـن أهل العلم والمعرفة؛ ولو كـان مـن أهـل العلـم الـواجب فقـط الذي يجب عليه ويكون فرض عين؛ فهو من الصالحين بقدر مـا معه من العمل والصلاح؛ وأمـا العلمـاء الربـانيون الـذين تَرَبَّـوْا على الكتـاب والسـنة تربيـة سـليمة ونشـروا ذلـك فـي النـاس وتَوَسَّعُوا في العلم؛ فهؤلاء هـؤلاء أتْبـاع الرسـل والأنبيـاء حقًـا؛ وهم في الصف الأول مِـنْ غيرهـم مِـنَ النـاس؛ لِـذا قـال اللـه تعالى: {أَدْعُو إِلَـى اللَّـهِ}؛ ثـم قـال: {عَلَـى بَصِـيرَةٍ} شـرطان أساسيان في قبول الدعوة.

الشـــرط الأول: أنْ تكـــون الـــدعوة خاصـــة للـــه -تبـــارك وتعالى-؛ لا يريد بها إرادةً دنيويـة ولا شخصـية؛ ثـمَّ تكـون علـى بصيرة؛ أي: على علم يَدعُ بعلم لا يَدعُ بجهل؛ فإنَّ الداعية وهو جاهل ولو حَسُنَت نِيَّتُه لا تصح دعوته ولا يجـوز لـه إلا أنْ يـدعوا في حدود ما يعلم؛ فالقدر الذي يَعْلَمُـه مـن العلـم يَـدْعُوا إليـه؛ والذي لا يَعلَمُه لا يجوز له أنْ يتكلف شيئًا لا يَعلمُه؛ إذًا فالدعوة إلى الله أولها دَعْوةٌ إلى تحقيق لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله؛ فإذا حقَّقَ الناس الركن الأول مِنْ أركـان الإسـلام شـهادة أنَّ لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله؛ حققها كما يجـب أنْ يَعْلَمَهـا وأنْ يَعْمَل بها بعد ذلك تأتِي الأعمال تِبَاعًا بعدها لهـذا لَمّـا بُعِـثَ النبي صلى الله عليه وسلم ومَكَثَ في مكـة ثلاث عشـرة سـنة ما دعا إلى شيء إلا إلى تحقيق لا إله إلا الله والإيمان برسالته؛ وفي آخر هذه السنوات فُرِضَـتِ الصـلاة ركعـتين ركعـتين؛ ولـم يُفْرَض شيئًا مِنَ الأحكام والواجبات والفَرَائِض إلا بعد ذلـك فـي المدينة؛ وهو دليل على أهمية كلمة التوحيد لا إله إلا الله؛ وكم لها مِنْ فضل كما سبق مَعَنَا في الأبواب المتقدمة أنَّ مَنْ قالهـا مُوقِنًا بها، عالمًا بهـا، عـاملاً بمقتضـاها؛ فهـو مِـنْ أهـل التوحيـد وتَعْصِم دمه وماله وعرضـه فـي الـدنيا وتكـون شـافعةً لـه يـوم القيامة؛ لأنها مِنْ أفضل القربات وأجَّلِ الدعاء والذكر، ولما كان

الدعوة تحتاج إليها البشرية في كـل زمـان وفـي كـل مكـان فلا يمكن أن يُغَطِّيهـا واحـد فـي الأزمنـة والأمكنـة؛ قـال اللـه -عـز وجل-: {أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي}؛ أي: الرسـول عليـه الصلاة والسـلام وأتْبَاعه جميعًـا فـي مشـارق الأرض ومغاربهـا؛ العـرب والعجـم والأحمر والأسود والذكر والأنثى كلهم يجب أنْ يأخـذوا نصـيبهم من العلم وأنْ يكونـوا دعـاة إلـى اللـه تبـارك وتعـالى بـأقوالهم وبأفعالهم؛ كـلٌ بِحَسَـب مـا عِنـدَهُ مِـنَ العلـم وبِحَسَـب القـدرة والإمكان؛ لذا هذه بشرى عظيمة لمن دعا إلى الله في قوله أو فعله بكلمة تقال، أو بموعظة تُلقَى، أو بِدَرْس يُقَـام، أو بخطبـة جمعـة، أو محاضـرة، أو مشـاركة بنـدوة مثلاً، أو بنصـيحة مـن النصائح، إلى مالا يدخل تحت الحصر؛ كل هذه الأنواع دعوة إلى اللـه تبـارك وتعـالى؛ إذا قصـد بهـا الـداعي إخـراج النـاس مـن ظلمات المعصية إلى نور الطاعـة فهـو مـن الـدعاة إلـى اللـه؛ وحيث إنَّ الناس يَتَفَاوَتُون كَثرة وقِلة؛ فالأجر يُعطِيه الله تبــارك وتعالى بحسب ما يقدم الإنسان من العمل {فمَن يَعْمَلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَـرّاً يَـرَهُ} [الزلزلـة:7-8]

لا إلـه إلا اللـه؛ وختـم اللـه عـز وجـل الآيـة بتَنْزِيهِـهِ تبـارك وتعالى عمَّا وصَفَهُ به أهل الشرك والضلال؛ قال: {وَمَا أَنَـا مِـنَ الْمُشْرِكِينَ} براءة مِـنْ الشـرك وأهلـه وكـل مسـلم مِـنْ أتبـاع محمد صلى الله عليه وسلم فقـط تَبَـرَّأَ مِـنَ المشـركين، وتـبرأ من الشرك وأعمال الشرك؛ لأنه من أهـل التوحيـد، ولمـا كـان الشرك قد يخفى على الإنسان؛ لـذا أُمِـر الإنسـان بـالتزود مِـنَ العلم؛ حتى يحقق التوحيـد؛ وإذا حقـق التوحيـد فـإنه يتـبرأ مـن الشرك والمشركين؛ وإن طرأ عليه طـارئٌ قلـبي فـإنه يَسْـتَعِيذُ بالله مِنْ ذلك كما في الدعاء المأثور: ((اللهم إنِي أعـوذ بـك أنْ أُشْرِك بك شـيئًا أعْلَمُـه وأَسْـتَغْفِرُك ممـا لا أعلمـه)) هـذا دعـاء المؤمن؛ يخاف على نفسه فـالنفس ضـعيفة؛ دائمًـا وأبـدًا يُكْثِـر

الإنسان مِـنْ هـذا الـدعاء؛ لاسـيما إذا قـدَّم عملاً صـالحا رضـيه لنفسـه ورجـا ثـوابه وخـاف أن يخدشـه شـيء مـن الريـاء أو السمعة أو نحو ذلك؛ يَعْمِدُ إلى هذا الـدعاء فـورًا: ((اللهـم إنِـي أعوذ بك أنْ أُشْرِك بك شيئًا أعلمه وأسـتغفرك ممـا لا أعلمـه)) والله غفورٌ رحيم يصلح الله حاله؛ لأنه يُحِّب توبة العبد ولُجُــوءَهُ إليه؛ وفي الآية دليل على عِظَمِ جِرْمِ أهل الشرك وأنهم أبعــدوا أنفسهم عـن رحمـة اللـه؛ إذْ أنَّ المُشْـرك لا يسـتحق المغفـرة والرحمة أبدًا؛ لأنه لم يأتِي بأسبابها.

فأسباب الرحمة والمغفـرة والشـفاعة أسـبابها أنْ يكـون مُوَحَّدًا لله، ولو كان منْ أهل اقتراف المعاصـي لكنـه مـن أهـل التوحيد؛ وإنْ عُذِّبَ في النار فليست كنار الكـافرين وإن كـان لا يُسْتَهَان بشيء منَ النار ولا مِنْ حَرِّها، ولكن يُرْجَى له أنْ ينتقل يومًا ما من النار إلى الجنة؛ وهذا خيرٌ وأبقَى مِنْ أنْ يَبْقَى خالدًا مخلدًا في النار مثل أهل الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفـاق الإعتقـادي، هـؤلاء لا خـروج لهـم مـن النـار، ولا يجـدون رائحـة الجنة؛ والْمُشرك هو الـذي تَسَـبَّبَ فـي طـرده مِـنْ رحمـة اللـه تبارك وتعالى. نعم.

المتن:

عنِ ابن عباس -رضي اللـه عنهمـا- أن رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم لما بعث مُعَاذًا إلى اليمن قال له: ((إنـك تـأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تـدعوهم إليـه شـهادة أن لا إله إلا الله))

الشرح:

وهذا الحديث الجليل فيه دليل صـريح علـى أنَّ مَـنْ وَلَّاهُ الله أمْرَ المسلمين يجب عليه ويُفرض أنْ يَهْتَمَّ بشـأن الـدعوة؛ وأنْ يَبْعث الدُّعاة إلى الأقطار التي يمكن أنْ يصل الدُّعاة إليها؛ والنبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذ وهـو فـي المدينـة إلـى اليمن في الأوقات التي ليس فيها من المراكب مـا يوجـد الآن؛

بعثه إلى اليمن ليكـون داعيًـا ومعلمًـا للنـاس؛ وهـو دليـل علـى عِظَم شأن الدعوة إلى الله عز وجل؛ ثم أعلمه بأي شيء يبـدأ؛ يبـدأ بالـدعوة إلـى التوحيـد إلـى تحقيـق لا إلـه إلا اللـه محمـدا رسول الله؛ لأنَّ مَنْ قالها علمًا وعملاً؛ فقد دخـل فـي الإسـلام؛ ثم يطالب بعد ذلك بفرائض الإسلام وحقوق الإسـلام؛ لـذا قـال النبي صلى الله عليه وسلم لِمُعاذ: (فليكن أول ما تدعوهم إليـه شهادة أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله)؛ ركن واحـد لا يفـرق بينهما لا إله إلا الله تجريد العبادة لله ونَفْيِها عن من سواه، وأن محمدًا رسول الله تجريد المتابعة لرسول الله صلى اللــه عليـه وسلم لا لغيره؛ لأنَّ اللـه هـو الـذي بعثـه وأرسـله وأمَـر النـاس بإتباعه؛ كما في قوله الحق: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران : 31]

ثم أخـبره بـأنَّ أهـل الكتـاب الـذين هـم اليهـود والنصـارى -وكانت اليمن مملوءة بهـم- أنهـم علـى علـم بـالكتب السـابقة فليكن دعوتهم بما يناسبهم عندهم مـن الجَـدَل وعنـدهم شـيء من العلم من الكتب الأولى فليُبَيِّن لهم ما جاء به النـبي صــلى الله عليه وسلم مِنْ شريعة الإسلام وأنه لا يُقبـل مـنَ الـدين إلا ما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يُتَّبَع أحد من المرسـلين الأوليـن إلا محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم؛ لأنَّ رسالته عامة وشاملة وناسخة لجميع ما قبلها؛ مـا كـان صـحيحًا وما كان باطلاً؛ مهيمن دينه على جميع الأديان ولا يجوز لأحد أنْ يعبدَ الله بالتوراة أو الإنجيل أو الزبور أو أي شيء من الصــحف والكتب التي أنزلها اللــه علـى الأنبيـاء مـن قبلنـا، لـو كـان مـن أُنْزلت عليهم أحياء ما وسعهم؛ إلا أن يتبعوا محمـدًا صـلى اللــه عليه وسلم؛ كما في قوله: {قُلْ يَأَيُّهَا النَّـاسُ}؛ كمـا فـي قـوله -عز شأنه-: {قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّـي رَسُـولُ اللّــهِ إِلَيْكُـمْ جَمِيعـاً} [الأعراف: 158]

وقـال -عـزَّ وجـل-: {ومَـآ أَرْسَـلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَـةً لِّلْعَـالَمِينَ} [الأنبياء :107]
{وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّـةً لِّلنَّـاسِ بَشِـيراً وَنَـذِيراً وَلَكِـنَّ أَكْثَـرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ :28]
دليل على عموم رسالته صلى الله عليه وسـلم وشُـمولها، وقوله عليه الصـلاة والسـلام: ((لـو كـان أخـي موسـى حيًّـا مـا وَسِعَهُ إلا أنْ يتبعني)) وهو موسى الكليم منْ أُولي العـزم أنـزل الله إليه كِتابًا عَظِيمًا مَدَحَهُ الله في الفرقان بقوله: {إِنَّـآ أَنزَلْنَـا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ} [المائدة :44].
لكن بعد الفرقان لا يجوز لأحد أن يقرأ شـيء مـن التـوراة ولا من الإنجيل، ولا يعبد الله بشيء مـن أحكامهمـا؛ لأن أحكـام الإسلام هي المفروضة على الناس وهي الواجبة وهي التي منْ تمسك بها هُدِيَ إلـى صِـرَاط مسـتقيم؛ ومـنْ عمـد إلـى غيرهـا سلك طريق الضلال؛ فلا حجة اليـوم لليهـود والنصـارى لا حجـة لهم في قولهم نحن على ديـن وأنتـم علـى ديـن؛ يَقُولُـونَ لأمـة محمد صلى الله عليه وسلم أنتم علـى ديـن و نحـن علـى ديـن وكلها سماوية؛ يعنـي يـدعون صـحة أديـانهم وأنهـا مـن الأديـان السماوية يوم أنزلت الرسل والأنبياء، هي ديـن سـماوي ويجـب عليهـم أن يعبـدوا اللـه بمـا فيهـا؛ ولمـا مـات الرسـل والأنبيـاء وحرفت تلك الكتب وجاءت الرسالة الخاتمـة؛ لا يجـوز لأحـد أن يقول أنا على دين وأنتم على دين؛ بل الرسول بُعِـث إلـى أهـل الكتاب اليهود والنصـارى ومَـنْ سـلك مَسْلَكهم؛ وبُعِـث للعـرب والعجم؛ وبُعِث إلى القاصي والدَّانِي إلى يوم القيامـة؛ بـل إلـى عالم الإنس والجن جميعًا؛ ولا يَسَع لأحد الخـروج عـن شـريعته أبدًا؛ ومنْ خرج عنها وادعى بأنها على دين سماوي فهـو كـاذب؛ وإنْ مات فهو من أهل النار بشـهادة رسـول اللـه عليـه الصـلاة والسلام إذ قال: ((والله لا يسمع بِي أحد من هـذه الأمـة –أي: أمة الدعوة ليس أمة الإجابة أمة الدعوة كلها- قال: ((واللـه لا

يسمع بِي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌ أو نصراني ثـم يمـوت ولـم يؤمن بالذي جِئْتُ به إلا كان منْ أصحاب النار)).

يعنـي الخالـدين المخلـدين فيهـا والعيـاذ بـالله والعكـس بالعكس؛ من مات وهو يؤمن بما جاء به محمد صلى اللـه عليـه وسلم علمًا وعملاً؛ فهو من أهل الجنة فما بَقِيَ لأحد مِن هــؤلاء الضُّـلَّال اليـوم؛ هـؤلاء الـذين يشـتمون الرسـول عليـه الصـلاة والسلام ويقعون في عرضه من النصارى سببه الجهـل الفضـيع والعناد؛ لو أرادوا لَزَالَ الجهل في ساعات؛ زَالَ عنهم الجهل لـو أرادوا الحق؛ لكنهـم لا يريـدون الحـق أهـل تَعَّصُـب ذَميـم علـى كتب محرفة وطاعة قَسَاوِسَة فُجَّار في الكنيسة؛ ضَلوا وأضَــلوا عباد الله؛ وخَوَّفُوهُم من الإسـلام و(....) فيـه؛ وأنَّ محمـدًا كـذا وكذا، ولم يعرفوا فضله ولم يعرفوا قدره؛ وبعضهم يَعْرِف لكنَّه خبيث النفس كالشيطان الرجيم الذي أعترف بالله -عـزَّ وجـل- ولم يؤمن بما أمره الله تبارك وتعالى به. والله أعلم.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

عن ابن عباس -رضي اللـه عنهمـا- أنَّ رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم لما بعث مُعاذاً إلى اليمن؛ قال له: ((إنك تـأتِي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تـدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله - وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله - فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صـلوات فـي كـل يوم وليلة، فإنْ هم أطاعوك لـذلك ، فـأعلمهم أن اللـه افـترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فَتُرد علـى فقرائهـم، فـإنْ هـم أطاعوك لذلك فإياك وكرائِـم أمـوالهم، واتَّـق دعـوة المظلـوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)). أخرجاه.

الشرح:

الحمد للـه رب العـالمين، اللهـم صـلِّ وسـلم وبـارك علـى عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبق معنا ما دلـت عليـه الآيـة الكريمـة الـتي اسْـتَدَل بهـا الإمام محمد بن عبد الوهـاب علـى معنـى شـهادة أن لا إلــه إلا الله والدعوة إليها والآية هي قوله تعالى:

{قُلْ هَـذِهِ سَـبِيلِي أَدْعُـو إِلَـى اللَّـهِ عَلَـى بَصِـيرَةٍ أَنَـاْ وَمَـنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: 108]

فقلنا إنها دلت على جملةٍ منَ المسائل مِنْ أبرزها:

أن الخطاب في قولة تعالى: {قُـلْ هَـذِهِ سَـبِيلِي} خطـاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وكل مـن يصـلح الخطـاب لـه مـنْ أمته؛ وهم الذين يدعون بدعوته وعلـى مِنْهَـاجه علـى الطريقـة التي دعا إليها وبها رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم، وقـوله: {هَـذِهِ سَـبِيلِي}؛ أي: الـدعوة إلــى اللـه الـتي تتضـمن تبليـغ الرسالة، وتتضمن بذل الجهد في تعليم الناس أمر دينهـم علـى

طريقة صحيحة توفرت شروطها، وهمـا: (الإخلاص، والمتابعـة)، المتابعة لِمَا جاء بهِ النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي قوله: {أَدْعُو إِلَى اللّهِ} تقريـر لوجـوب الإخلاص فـي الدعوة؛ وأن الداعِيَة إلى الله بأَيِّ أسلوب من أسـاليب الـدعوة يَنوي ويُشعِر نفسه ويُلْزمها بأنه يَدعو عِباد اللـه يحتسـب الأجـر من الله تبارك وتعـالى؛ الـذي أخْلـص لـه فـي الـدعوة وسـلك المنهاج الذي رسمه الله تبارك وتعالى له؛ فلا يجوز للداعِيَـة أن يعدل عن هذا النهج الذي رسمه اللـه -تبـارك وتعـالى- لرسـول الله عليه الصلاة والسلام ولأمته ولا يجوز للداعية أن يُغَيِّر النيـة ويدعو ولـه مقاصـد أخـرى يتعلـق بمتـاع الحيـاة أو بالسـمعة أو قصد المِدْحة أو لينال عرض من الدنيا؛ كل ذلك إذا أحـس مـن النفس أنها تطمح إلى هذه الأشياء وجب عليه أنْ يُـذَكِّرَهَا بهـذه الآية وأمثالها ويلزمها بلزام التقوى؛ ويُشعر نفسه بـأنه لا ثـواب يرجى إلا في العمل الذي يتوفر فيه شـرطان اثنـان: (الصـواب والإخلاص)؛ لذا قال: {أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ}.

وفـي قـوله: ((عَلَـى بَصِـيرَةٍ)) المـراد بالبصـيرة: العلـم الشرعي الذي أوْحَاه الله -تبارك وتعالى- إلي نبيه عليه الصـلاة والسلام؛ الكتاب العزيز والسنة المطهرة؛ هذه البصيرة يتفاوت الناس فيها بحسب مـا حَصَّـلُوه مـن العلـم، وبحسـب مـا تُبْـذَل الجهود في تحصيل العلم، تحصيل البصيرة، وتقوى وهي بصيرة القلب يُبصر الإنسان بقلبه معالم الحلال ومعالم الحرام، ومـراد الله -تبارك وتعالى- منه ومراد رسـوله عليـه الصـلاة والسـلام؛ وذلك ببذل الجهد في الطلب والتحصيل بأي وسيلة من وسـائل التحصيل الشرعية؛ فيُصبحوا مـن أهـل البصـيرة الـذين وفقهـم الله وألهَمهُم؛ فصار شـغله الشـاغل أن يَطَّلِـع علـى العلـم وأن يحصل العلم لِيَعْلَمَهُ فيحل محل الجهل؛ ويعمل به فتأتي فيـأتي الصحة في العمل؛ لأنه بُنِيَ على علم ويُعَلِّمَـه النـاس بقـدر مـا يسـتطيع ويتصـدى لـذلك لِيَتَأَسَّـى بالرسـل الـذين بعثهـم اللـه

مُعَلِّمِين بعد أن عَلَّمَهم؛ فيأتي ورَثَتَهُم فيكونـوا معلميـن بعـد أن يعلموا؛ فيحدث من الأجر الشيء الكثير الـذي يكـون سـببًا فـي مرضاة الله -تبارك وتعـالى- وسـببًا فـي دخـول الجنـة مـع أول الـداخلين؛ لأن أفضـل النـاس فـي كـل زمـان ومكـان العلمـاء العاملون؛ العاملون بعلمهم هـم أَئِمـة يعتـبرون للنـاس والنـاس تبعًا لهم؛ وإن اقتدوا بهم في صـالح الأعمـال واجتنـاب مسـاوئ الأعمـال أحـرزوا مـن الأجـر مـا وعـدهم النـبي عليـه -الصـلاة والسلام- به في قوله: ((الدال على الخير كفاعله)).

والدلالة على الخير تـأتي بـالقول وتـأتي الفعـل؛ والتأسـي بالناس للعالم في قوله وفعله؛ في قوله الطيب وعمله الصـالح وسلوكه الإسلامي الصحيح وزهده وورعـه عـن المحـارم وبـذل جهده في الاقتصار على الحلال؛ والناس يقتدون به فيحرز أجــر كل من اقتدى به في قول أو فعل؛ وهذه من أنواع الدعوة ومن أقسامها دعوة بالفعل والسلوك ولَمَّا كان النبي صلى الله عليـه وسلم له أجـلٌ محـدود كغيـره مـن الرسـل والأنبيـاء السـابقين وغيره من المخلوقات؛ فلا بد لهذه الـدعوة مـن أمـة تقـوم بهـا كما قام بها النبي صلى الله عليه وسلم فا؛لوُلاَة وُلاَةُ المسلمين كالملوك والرؤساء؛ هؤلاء يصنعون كما صنع الرسول صلي اللـه عليه وسلم من بعد الدعاة إلى الأماكن التي تحتـاج إلـى دعـوة وإبلاغ لرسالة الرسول عليه الصلاة والسلام، وربط المخلـوقين بخالقهم وبارئهم؛ بفعـل أمـره واجتنـاب نهيـه ومـن أتـاهم اللـه العلـم ينشـرونه بقـدر اسـتطاعتهم؛ ولـو يسـتطيعوا أن يرحلـوا لتبليغه وفعلوا لأصَابوا؛ وإن لم يستطيعوا فكل عـالم فـي بلـده وفي الوطن الذي يعيش فيه ينشر العلم؛ والعلـم إذا نُشِـر فـي مكان لا يبقـى محبوسـًا فـي ذلـك المكـان؛ بـل يحملـه المقيـم والمسافر والغادي والرائح يحمل العلم ويُبَّلِغه أينمـا حـلَّ؛ أينمـا حَلَّ من الأوطان؛ فإذا نشره وهو فرد واحد فـي بلـدة أو إقليـم مـن الأقـاليم وأخـذ عنـه النـاس العلـم نشـروه فـي الإقليـم

واسْتَنَاروا بنور ما سمعوا من العالم الذي أخذ نصيبه من العلم الشرعي وبلغه كما (.. ..)، وكما كانوا أصحابه يبلغون العلم في مشارق الأرض ومغاربها؛ فأَتْبَاعُ رسول الله حقًا أئمَتُهم العلماء؛ هم الذين يتولون دعوة الخلق ولا يمكن أن تصلح أمة أو مجتمع أو فرد بدون العلـم؛ لا يمكـن مهمـا تـوفر عنـدهم رغـد العيـش والأمـن ووسـائل الراحـة ولكنهـم بـدون علـم لا يَسْـعِدُون ولا يجدون طعمًا للحياة؛ إلا إذا كان العلم منشور بينهـم؛ قـال اللـه وقال رسوله عليه الصلاة والسلام وفعـل السـلف الصـالح كـذا وكذا؛ لأنهم لا يفعلون إلا بعلم وبصيرة، فالحمد للـه اقتنـع كـثير مـن طلاب العلـم؛ و عرفـوا حـاجتهم واستسـهلوا الصـعب فـي تحصيل العلم والعناية به بكتاب اللـه عـز وجـل وبسـنة رسـول اللـه عليـه الصـلاة والسـلام بآثـار الصـحابة بسـلوك السـلف وزهدهم وورعهم وحسن دعوتهم؛ فصار من حسن حظهم ذلك؛ لذا قال الله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي} اتبعه في العلم والعمـل؛ والـدعوة مـن العمـل ونفعها متعدي والنفع المتعدي أكمـل أجـرًا مـن النفـع القاصـر؛ النفع القاصر على النفس لكن النفع المتعدي تعدى مـن نفسـه إلى غيره بحيث عَلِم وعَمَل هو وعَلَّم؛ وهذا الذي يـدعى العـالم الرباني علِم وعمَل وعلَّم يُدعى عالمًا ربانيًّا وهـي مـن الألفـاظ العظيمة الشريفة.

وخُتِمت الآية من البراءة من الشرك والمشـركين؛ بتسـبيح الله عن الشـريك والنضـير والمثيـل والـبراءة مـن المشـركين؛ لأنهم أعداء الله وأعـداء الرسـل فتـبرأ النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم منهم وأمته تبَعًا له في كل ذلك؛ يتبرءون من المشـركين بجميع أصنافهم؛ ويتـبرءون مـن أعمـالهم وأخلاقهـم وسـلوكهم ويتبرءون من البدع والمبتدعين؛ فإن البـدع بريـد الشـرك بـالله -تبارك وتعالى- لذا ترى العلماء وطلاب العلـم بالـذات يسـألون عن البدع.

ما هي البدعة؟ وفي أي شيء تكون البدعة؟ فـي الاعتقـاد في الأقوال، في الأفعال، يسألون عنها ليجتنبوها ويحذروها؛ كما فـي حـديث حذيفـة بـن اليمـاني قـال: ((كـان النـاس يسـألون الرسول صلى الله عليـه وسـلم عـن الخيـر وكنـت أسـأله عـن الشر مخافة أن يدركني))

فمـن جمـع اللــه لــه بيـن معرفـة السـنة ومعرفـة البدعـة ليجتنبها ويُحَّذِرَ الناس منهـا؛ فهـو عـالم ربـاني؛ ولا يمكـن لهـذه الأشـياء أن تُعْـرَف تمامًـا إلا أن تبـذل الجهـود المتواصـلة مـن طلاب العلم ليلاً ونهارًا بحسب طاقتهم يتعرف على السنة علـم وعمل، ويتعـرف علـى البدعـة والمبتـدعين؛ حـتى لا يغـره مـن غرمــن أهــل البــدع الــذين يُزخرفــون القــول ويُلَينــون للنــاس الجانب؛ وهم يريدون أن يقذفوهم في النار والعياذ بالله والــذي يقــرأ الآيــة مــن ســورة الأنعــام الأخيــرة: {وَأَنَّ هَــذَا صِــرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام :153]

عرَّف السنة والبدعة عرَّف بأن الصراط المستقيم الكتاب والسـنة؛ فبـذل جهـده ليأخـذ نصـيبه وحظـه منهمـا وأنَّ السـبل الأخرى {وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ}؛ هـي: البـدع والأخطاء والتضليلات التي تلقيها شياطين الإنس والجــن لتُضِّــل بها عباد الله؛ بدون خوف من الله وأهــل البــدع مــن هــذا النــوع الذين لا يحترمون السنة ويريدون أن تحل البدعة محــل الســنة؛ هؤلاء ما قدَّروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قدروا الله حق قدره الــذي يجــب أن يطــاع فلا يُعصــى، ويُــذكر فلا يُنســى، ويُشكر فلا يُكفر، وكذلك الرسول عليه الصلاة والسلام يجب أن يُطاع ويُتابع ويُحَّب فوق محبة كل مخلوق.

إذن فالسؤال عن البدع يكون سـبب فـي اجتنابـك للبـدع وعدم اغترارك بمن يدعوا إليها؛ والسؤال عن السنة هـو سـبيل إلى معرفتها والعمل بها ودعوة الناس إليها؛ فمن رزقه الله عز

وجل معرفة السنة واجتناب البدعة؛ عاش عيشة طيبـة مباركـة أحْيَاهُ الله حياةً طيبةً مباركةً؛ وفي قصة بِعثَة مُعـاذ إلـى اليمـن؛ البعثـة الميمونـة الـتي أنتشـر بهـا توحيـد اللـه -تبـارك وتعـالى- ومعالم الإسلام آنذاك وكان اليمن مملـوء بأهـل الكتـاب اليهـود والنصارى واليهود بكثرة؛ لذا وصاه النبي صلى الله عليه وسـلم الحكيم في دعوته إنـك تـأتي قومـا ًأهـل كتـاب؛ وأهـل الكتـاب عندهم معرفة لسبب الكتب المُنَزَّلة الـتي نزلـت علـى الرسـل والأنبياء؛ فأخبره بأي شيء يبدأ دعـوته لتكـون سـنة لمـن يـأتي يدعو بدعوة رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ فقال له: (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله- وفي رواية: وأنِّـي رسول الله)؛ والشهادتان ركـن واحـد وهمـا مُتلازِمتـان لا تُقْبَـل إحداهما إلا بالأخرى؛ فمن شهد أن لا إله إلا الله ولـم يشـهد أن محمد رسول اللـه؛ لا تقبـل شـهادته ولـم يـدخل فـي الإسـلام؛ والعكـس كـذلك مـن شـهد لرسـالة الرسـول ولـم يشـهد للـه بالوحدانية بالربوبيـة والوحدانيـة والأسـماء والصـفات؛ لا تنفعـه شهادة أن محمدًا رسول الله، والـذي ينفـع هـو أن يجمـع العبـد بين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول اللـه، وكـل مـن بُعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم على وجـه الأرض جميعًـا كلهم يلزمهم الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومـن ادعـى بأنَّ له ديـن غيـر ديـن الإسـلام ونـبي غيـر محمـد عليـه الصـلاة والسلام من اليهود والنصارى أو أي مِلة مـن الْمِلَـل مـن ادعـى ذلك؛ فدعواه باطله ولا تنفعه لو يتعبد ليلاً ونهارًا بغير ما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لا يُقبـل منـه أبـدًا؛ كمـا قـال الله -عزَّ وجل-: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران:31].

{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [النساء: 80]

فدَعْوى اليهود اليوم والنصارى بأنهم على ملل سماوية هم كاذبون في ذلك؛ ليسوا على ملل سماوية؛ بـل هـم علـى ملـل شيطانية مُحرَّفة ومُبدَّلة؛ مـا كـان مـن الكتـب القديمـة موجـود وصحيح فهـو منسـوخ بشـريعة محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم والمنسـوخ لا يُعْمَـل بـه؛ ومـا كـان منها مُحَرَّفًـا حَرَّفَـهُ الفُجـار الضالون الذين ضَـلُّوا وأَضَـلُّوا، وحرَّفـوا وغيَّـروا، وبـدَّلوا وكتبـوا بأيديهم وقالوا من عند الله؛ سَيَلقون جزاءهـم عنـد اللـه تبـارك وتعالى؛ ولا يُقبل منهم شيءٌ منْ أعمالهم، ولا ينفعهم أن يقولوا نحن على دين سـماوي؛ حـتى غـرُّوا بعـض الكُتـاب الإسـلاميين فاعترفوا بأن الإسلام والنصرانية واليهودية هذه أديـان سـماوية يَقف أهلها جَنب إلى جَنب ليُحَاربوا الإرهاب؛ فَمَالَ معهـم بعـض الكُتَّاب الإسلاميين بدون علـم؛ يعنـي قـال: التـوراة أنزلـه اللـه والإنجيل أنزله الله لكنه لـم يَتَبَيَّـن؛ الأمـر وبيـان الأمـر أن اللـه أنزلها أو أوجب العمل بها وقت إنزالها؛ ثـم لَمَّـا حُرِّفـت وبُـدِّلت فالناس يعملون بأقوال السـفهاء فلمـا بُعِـث محمـد صـلى اللـه عليه وسـلم؛ حَـرُمَ أنْ يأخـذوا شـيئًا مـن التـوراة ولا شـيئًا مـن الإنجيل ولا شيئًا من الصُحف الأخـرى؛ حَـرَّمَ اللـهُ عليهِـم ذلـك؛ حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أعلمُ الخلق بربه؛ لَمَّا رأى مع عمر بن الخطـاب ورقـة مـن التـوراة صـحيفة فيهـا بعـض الحكـم والمـواعظ؛ فنظـر إليـه وقـال: (مـا هـذا يـابن الخطاب؟! ألم أتيكم بها بيضاء نقية؟؛ والله لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا أن يَتَّبِعَنِي)؛ فإذا لم يَتَّبعـهُ فقـد ضـل وحاشـاه؛ فنصوص فيها إقنـاع للعقلاء؛ أنَّ اليهـود لا يَسَـعُهم أنْ يعملـوا لا بالإنجيل ولا بالتوراة، والنصارى لا يسعهم ذلـك ولا يقبـل منهـم ذلك؛ هم من أمة محمد من يوم بُعِث فهم من أمته؛ إلا أن أمته أُمة دعوة وأُمـة إجابـة؛ فأُمَّـة الـدعوة الـذين أبـوا أن يسـتجيبوا لدعوة الرسول عليهم الصلاة والسلام؛ فقـامت عليهـم الحجـة؛ ولا يُقبل منهم أنهم يعملون كما يَدَّعون برسالة سماوية التـوراة

والإنجيـل؛ هـذه مـن الخديعـة الـتي خَـدع بهـا أولئـك اليهـود والنصارى خدعوا بها منْ قَلَّ نصيبَه من العلم، ومن جَهِلوا كتاب الله وسنة رسوله عليـه الصـلاة والسـلام لاسـيما فـي بلـدانهم، وهذه الدسيسـة قـالوا إنهـا أديـان سـماوية يقـف بعضـها جنـب بعض؛ وتُحارب الإلحاد والعلمنة هذه؛ ليَتَوصَّلوا بها إلى الاعتراف بـأنهم علـى حـق، وإنهـم علـى عقيـدة حـق ورسـالة حـق؛ فلا يُحاربون ولا يُنكر عليهم؛ وهذا مـا يخفـى إلا علـى إنسـان قليـل البِضاعة في العلم؛ وإلا فمتى أن اليهودية والنصرانية تقـف مـع الإسلام ويُحاربون الباطـل؛ هـي باطـل بنفسـها فكيـف تُحـارب الباطل؛ لا يُحارب الباطل ويَرُد ويُـدحِض إلا الحـق؛ والحـق فـي الإسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فما سواه فهو باطـل بـدون شـك وبـدون تـردد؛ قـال: (أول مـا تـدعوهم إليـه شهادة أن لا اله إلا الله) وهـذه وظيفـة الداعيـة إلـى اللـه يبـدأ بالتوحيد ويُعلِّمه الناس حـتى يسـتقر فـي القلـوب؛ لأنـه إنْ لـم يوجد توحيد ما قُبِلت بقية الأعمال؛ فإذا وُجِـد التوحيـد مـن كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام أدِلة التوحيد من الكتاب والسنة؛ إذا وُجِد في قلب الانسان تَقَبل الله أعماله؛ لأنه أصـبح من أهل التقوى، والله يقول: {إِنَّمَـا يَتَقَبَّـلُ اللَّـهُ مِـنَ الْمُتَّقِيـنَ} [المائدة:27].

ثم يتدرج الداعية مع المـدعوين فـي بيـان أركـان الإسـلام والإيمـان والإحسـان وبقيـة أعمـال الـدين؛ ولَمَّـا كـانت الصـلاة أعظم العبادات عند اللـه عـز وجـل وأجَلَّهـا؛ أتْبعَهـا الشـهادتين؛ فقال: ((فـإن هـم أقـروا لـك بـذلك فـأعلمهم أن اللـه افـترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلـة))؛ تُصـلى فـي الـبيوت التي بُنِيَت من أجل إقامة الصلوات فيها؛ إمام ومأمومين ظهرًا وعصرًا ومغربًا وعشاءً وفجرًا؛ الأصل أن تُصَلى في بِيُـوت اللـه المساجد التي أثنى الله عليهـا وعلـى عُمَّارهـا؛ فقـال سـبحانه: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْـمُهُ يُسَـبِّحُ لَـهُ فِيهَـا

بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [النور :36] والغـدو والآصـال تُجمـع الفرائـض الخمس؛ وقال -عزَّ وجل-: {إِنَّمَا يَعْمُـرُ مَسَـاجِدَ اللَّـهِ مَـنْ آمَـنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْـشَ إِلاَّ اللَّـهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ} [التوبة: 18] وعُمَّرُوها عِمارة حسية وعِمارة معنوية؛ والعمـارة المعنويـة أعظـم أجـرًا من العمارة الحسية؛ عمارتهـا المعنويـة بالصـلاة فيهـا، وقـراءة القرآن فيها، وتَعلُّم العلم منها، وإنشاء حلقات الفقه فـي الـدين في المساجد، والاعتكاف فيهـا إلـى مـالا يحصـى مـن العبـادات الجليلة التي مَن أدَّاها في المسجد فقد أمِن على نفسه بفضـل الله -تبارك وتعـالى- عليـه الوقـوع فـي الأخطـاء وأطمئـن بـأنه يجمَع حسـنات إلـى حسـنات؛ فـالجلوس فـي المسـجد حسـنة، والصلاة فيه حسنات، وقراءة القرآن فيـه كـذلك، والتفقـه فـي الدين في المسجد كذلك في الحسنات؛ ففيه من الخيـر مـا لـو أتعب الإنسان نفسه لأثابه الله بقدر ما بذل من جهود؛ ثـم أتبـع الصلاة الزكاة أنها زكاة المال؛ وحق فرضَه اللـه عـز وجـل فـي الأموال؛ كالخارج من الأرض، وفي بهيمة الأنعام، وفي النقدين، وفـي عـروض التجـارة، ولهـا أنصـبتها المعروفـة فـي الفقـه الإسلامي، من أدَّاها طيبة بها نفسه؛ فقد أقام ركنًا عظيمًـا مـن أركان دين الإسلام؛ وهكذا الركن الرابع؛ الصوم وهو شهر واحد في السنة صيامه المتوالي وفيه من الأجر مـالا يحصـى؛ والحـج فـي العمـر مـرة واحـدة والعمـرة مـرة واحـدة تَيْسِـيرًا علـى الناس؛ فلما كانت الصلاة أمرُها سهل والأجر فيهـا كـثير خمـس صلوات في اليوم والليلة؛ ولما كان الحـج فيـه مشـقة وأسـفار وانتقال؛ صار في العمر مرة واحدة، وذلك لأن الله قـال: {وَمَـا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَـرَجٍ مِّلَّـةَ أَبِيكُـمْ إِبْرَاهِيـمَ} [الحـج : 78].نعم.

المتن

قال: ((واتق دعوة المظلوم))

الشرح:

قال: (واتقي دعوة المظلوم) أتى بهذا بعد الزكاة؛ لأنــه إذا ذهب الْمُصَدِّق من قِبَل الوالي وأخذ مالا يجـوز أخـذه مـن خِيَـار الأموال؛ كفحل الإبل مثلاً، أو فحل الغنم أو الحلوب من الأغنـام والأبقار؛ أحس صاحِب المال بظلم؛ لـذا أمـر النـبي صـلى اللـه عليه وسلم أن يُؤخَذ من الوسط لا من الأعلـى ولا مـن الأدنـى؛ حتى يتَّقِى الْمُصدِّق دعوة المظلوم؛ لأنه إذا ظلمه أخـذ الأعلـى ظلمَه دعا عليـه؛ فـأمر النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم الرحيـم بأمته؛ قال: ((واتقي يامُعاذ بينك وبين دعوة المظلـوم وقايــة))؛ بالعدل؛ فلا تأخذ كرائم الأموال ولا تأخذ أدناهـا ولكـن خُـذ مـن الوسط ((لا ضرر ولا ضرار))؛ لأن دعوة المظلوم إذا ظُلم ليس بينها وبين الله حجاب؛ بل يقول الله عز وجـل: ((لأنصـرنَّكِ ولـو بعد حين)) وهو دليل على البُعد عن ظلم الناس عمومًا؛ لا يجوز الظلم لأحد من الناس لا في عرضه ولا في دمـه ولا فـي مـاله؛ فمن ظلم أخر؛ فلا بد من القصاص لا يعفو اللـه عـز وجـل عـن الـذي يظلـم غيـره لا يعفـو عنـه؛ لأنـه عـدل والمظلَمـة ظُلـم للمظلوم؛ ولا بد أن ينصـره اللـه -تبـارك وتعـالى- يـوم القيامـة على رؤوس الأشهاد؛ إن ظلمت في المال ليس فيه إلا أخذ من الحسنات، وطرح من سيئات على الظالم، وهكذا الـدم، وهكـذا العِرْض؛ فالسلامة في الذي يتَجنَّـب ظُلـم الغيـر (....) الأسـرة؛ كظلم الزوج للزوجة والعكس بالعكس، والابن للأب الأب للابن؛ ثم بعد ذلك في بقية الناس هذه المَظـالم لا تسْـبق .. اللـه عـز وجل وعـد بالقصـاص للمظلـوم ممـن ظَلَمَـهُ؛ كمـا فـي حـديث القنطرة إذا خلص الناس من الصراط وُقِفُوا علـى قنطـرة بيـن الجنة والنار يتَقَاصُّون مظالم كانت لهـم فلا يـدخل أحـد الجنـة؛ حتى يُقْتَص منه مظالم ظلَمَها في الـدنيا؛ وهكـذا لا يـدخل أحـد النار؛ حتى يُقْتَص منه ممن ظَلَمَهُ لأن حقوق الخلق مبنيـة علـى

(...) والمقاصات لا يسقط منها شيء؛ لذا قال النبي صلى اللـه عليه وسلم للأمة: ((واتقِي دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب)). تُرفَـع، واللـه وعـدها بالنصـر لأنصـرنكِ ولـو بعـد حين؛ وهي وصية عامة وإن كان لفظها خاص بمُعاذ لكنها عامــة لجميع الأمـة أن يتقـوا المظـالم، وفـي الحـديث القدسـي: ((يـا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلتُه بينكـم محرمًـا فلا تَظالموا)). لا في الأموال ولا الأعراض ولا في الدماء.

المتن:

ولهما عن سهل بن سعد -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال يـوم خيْـبر: ((لأعطيـن الرايـة غـدًا رجلاً يُحِب اللهَ ورسولَه، ويُحِبه اللـهُ ورسـولُه، يفتـح اللـه علـى يديه، فبات الناس يدوكون ليلَتَهُـم أيهـم يُعطَاهـا، فلمـا أصـبحوا غدوا على رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم كلهـم يرجـوا أن يُعطاها؛ فقال: (أين علي بن أبي طالب؟)؛ فقيل: هـو يشـتكي عينيه؛ فأرسَلُوا إليه، فأُتِيَ به فبصق في عينيـه، ودعـا لـه؛ فـبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الرايـة وقـال: أنفُـذ علـى رسْـلِك حتى تَنْزِل بساحتهم؛ ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بمـا يجـب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأنْ يَّهـدي اللـه بـك رجلاً واحدًا، خير لك من حُمْرُ النِّعَم)). يدوكون؛ أي: يخوضون

الشرح:

هذا الحديث الجليل فيه فوائد منها: معجـزات للنـبي صـلى الله عليه وسلم حققت

المعجزة الأولى في _أعِدْ أول الحديث يا الطالب.

المتن:

قال: ((لأُعطِيَّن الراية غدًا رجلاً يحب اللهَ ورسـولَه، ويحبـه اللهُ ورسولهُ، يفتح الله على يديه، فبات الناس يـدوكون ليلتهـم

أيهم يُعْطاها، فلما أصبحوا غـدَوْا علـى رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم))

الشرح:

المعجزة الأولى: إخِبار النبي صلى الله عليه وسلم عــن مَحَبة الله لعبد منْ عِباد الله؛ هو علي بن أبي طـالب، وأنَّ عليًّـا يُحب الله وهذه من المعجزات التي أطْلَع الله عليها نبيه محمــد صلى الله عليه وسلم.

والمعجزة الثانيـة: كـونه جـاء مريضـًا فـي عينيـه رمـد فبصق فيه بَصَقَةً؛ فإذا هي صحيحة.

والمعجزة الثالثة: أخبر بما سيكون في المستقبل؛ بأنه يدعو أهـل خيـبر وأنَّ اللـه يفتـح علـى يـديه فَيهزِمَهُـم؛ بعـد أن يدعُوَهم إلى الله عز وجل؛ وفي الحديث: أن قبـل القتـال لمـن لم تبلُغهم الدعوة وجوب الدعوة إلى الإسلام قبل القتال وقبــل عــن الاســتباق للمغــانم؛ بــل إن اســتجابوا فلا أرب لهــم فــي أموالهم ونسائهم وذَرَارِيهِـم وإن لـم يسـتجيبوا اسـتعانوا بـالله، وقاتلوهم فأصبحوا عبيدًا أو مماليك بعد أن كانوا أحــرارًا. واللــه اعلم.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُـونَ إِلَـى رَبِّهِـمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَـافُونُ عَـذَابَهُ إِنَّ عَـذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً} [الإسراء: 57]

وقـوله: {وَإِذْ قَـالَ إِبْرَاهِيـمُ لِأَبِيـهِ وَقَـوْمِهِ إِنَّنِـي بَـرَآءُ مِمَّـا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ}. [الزخرف: 26_27]

وقـوله: {اتَّخَـذُوا أَحْبَـارَهُمْ وَرُهْبَـانَهُمْ أَرْبَابًـا مِـنْ دُونِ اللَّـهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُـوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} .[التوبة:31]

وقوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة: 165]

وفي الصحيح عن النبي صلى اللـه عليـه وسـلم أنـه قـال: ((من قال لا إله إلا الله وكفَر بما يعبد من دون الله، حَرُم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل)).

وشرح هذا الترجمة : ما بعدها من الأبواب.

الشرح:

الحمد لله اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قال -رحمه الله-: باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

سبق معنا معنى التوحيد وأنواع التوحيـد؛ فمعنـى التوحيـد: إفـراد اللــه -تبـارك وتعـالى- فـي أُلُـوهِيَّتِهِ وربـوبِّيَتِه وأسـماءه وصفاته؛ من أفْرد الله -تبارك وتعالى- بالعبادة، وأفردَه بـالإقرار له بالربوبيـة، وأفـرده بأسـمائه الحسـنى وصـفاته العُلَـى؛ صـار موَحِدًا، وكفر بما سوى ذلك؛ صار موحداً؛ وقولُه وتفسير لا إلــه إلا الله تفسير لا إله إلا الله هو عين التوحيد؛ وذلـك بـأن يشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويكفر بما سواه؛ فمن شـهد أن لا إله إلا الله عِلما قولاً وعلمًا وعَملاً؛ فهو من أهـل لا إلـه إلا الله؛ وقـد مضـى معنـا أنَّ لاَ إلـه إلا اللـه لهـا أركـان وشـروط وحقوق ومُكمِّلات ومُقْتَضَيَات؛ فلابدَّ مـن الإتيـان بهـذه المعـاني لِتُتِم للعبد شهادة أن لا اله الا اللـه، أمـا أركانهـا فاثنـان: النفـي والإثبات؛ النفي: المعروف بقولك: (لا إله)؛ والإثبات: المعـروف بقولك (إلا الله)؛ وسبق معنا معرفة شروطها الثمانية التي لابـد أن تتوفر لَدى من شهد أن لا إله الا الله؛ ليكون عَالِمًـا بمعناهـا، عامِلاً بِمُقتَضاها، ولا يَقتَصر على ذلك ولا تنفعه؛ حتى يَكفُـر بمـا

سوى ما دلت عليه هذه الشهادة؛ يَكفُر بما يُعبـد مـن دون اللــه -تبارك وتعالى-؛ كما في الحديث أخر الباب؛ لأن من شهد أن لا إله إلا الله ولم يكفر بما يعبد من دون الله ما نفعتـه شـهادة أن لا إله إلا الله ولا بد مـن الـولاء والـبراء مـن الجمـع بيـن الـولاء والبراء؛ يشهد أن لا اله الا الله عِلمًا وعَملاً وسـلوكًا بمقتضـياتها ولوازمها ويَكفُر بما يعبد من دون اللـه -تبـارك وتعـالى- فلا يَتـم توحيده إلا بذلك.

وقـول المؤلـف: (وتفسـير هـذه الترجمـة مـا بعـدها مـن الأبواب)؛ معنى ذلك: أن ما بعدها من الأبواب من أبـواب كتـاب التوحيد كله تفسير لهذه الترجمة باب التوحيد وشهادة أن لا اله إلا الله؛ لأن ما بعدها من الأبواب يتعلق بتحقيق التوحيد وأمثلــه مضروبة للتوحيد، وبيان الفضل الذي يحرزه الموحـد، وبيـان مـا يضاد التوحيد يضاد أصله أو يضاد كماله.

نعم.